بانتظار العودة إلى سورية... وهذا اللقاء متشوقة له

عبير نعمة لـ «الوطن»: أنا إنسانة دقيقة في عملي وحريصة على أن تُشبهني موسيقاي وأغانيّ

| سوسن صيداوي

في صوتها من الكُلّ.. كُل. فيه من الصلاة خشوع. فيه من الحب كلّ الحنين. فيه من سكون السلام طفولة يُهَدهد لها لتنام. فيه من الثقافة راعٍ لفصيح العربية، وفيه من نُطق اللغات موهبة اكتسبها الصوت بتراكم جهد مبذول دام لسنوات. وأخيراً... في صوتها من العبير عبق يُحضر الذاكرة من عتبات النسيان، صارخاً.. شامَخاً.. مناجياً نحو السموات. إنها المغنية اللبنانية عبير نعمة، في مشوارها الفني حملت بصوتها قضية الثقافة الموسيقية، لتفرّد خارج السرب، متفردة ومتميزة في الانتقاء والتقديم، ليست مهتمة بالكمية بقدر ما يُهمها النوعية المغناة في ألبوماتها، وهذا مردّه بأنها باحثة موسيقية، الأمر الأخير الذي مكّنها من غناء جميع الأنماط الموسيقية، وهي المغنية العربية الوحيدة التي تستطيع الغناء بأكثر من ٢٥ لغة قدّمتها في موسمين من وثائقي «موسيقا الشعوب» الذي عُرض على قناة الميادين وقدّمت فيه أصول ونشأة الموسيقا من جميع البلدان التي زارتها والتقاليد والفنون الموجودة وارتباطها الوثيق مع موسيقا الشعوب. مؤخراً سمعنا لها أغنيات لاقت رواجا كبيرا واحتلت المراتب الأولى في سباق الأغنيات اللبنانية والعربية مثل: وينك، تلفنتلك. ونحن بانتظار المزيد من الأخبار عن المغنية اللبنانية عبير نعمة، أخبرتنا عنها في حوار «الوطن» معها. نترككم مع مزيد من التفاصيل:

• مؤخرا كانت الأصداء جدّ رائعة ومميزة بحفلك في كازينو لبنان... وجاء للحضور جمهور من معظم الدول العربية... ما تعقيبك؟

في الحقيقة، إنّ أكثر ما يشعر الفنان بالغبطة والسرور، هو ملاقاته لجمهوره القادم كي يشاهد حفله من عدة دول، سواء أكانت قريبة ومجاورة مثل سورية والأردن أم من دول عربية بعيدة. ومن جهة ثانية الأمر الأجمل أنّ هذا الجمهور المتنوع قد اجتمع باسم الموسيقا والمحبة، وحضر بحماس كبير، وتابعني خلال برنامج الحفل بكل حب، وهذا أمر أفتخر به كثيرا.

• بعد نجاح أغنية «وينك» كلمات الشاعر جرمانوس جرمانوس وألحان مروان خوري.. السؤال:هل من الممكن أن تشاركي الفنان مروان خوري بديو غنائي؟

في الحقيقة لقد استقطبت أغنية«وينك» ضجة كبيرة وجمهوراً أحبها وحفظها واستمع إليها، حتى إنها تقدمت إلى المراتب الأولى في سباق الأغنيات العربية واللبنانية. وبالطبع هذا فضله يعود إلى كل من:الشاعر جرمانوس جرمانوس ولحن الفنان الشامل مروان خوري، والتوزيع لهادي شرارة. أما بخصوص التعاون وبالتحديد مع مروان خوري-على صعيد التلحين- فهنا أحب أن ألفت إلى أنّ هذا التعاون كان جميلاً جداً، وأنا كنت مصرّة عليه وبانتظاره منذ وقت طويل، وأتمنى أن يجمعنا تعاون آخر في أغان جديدة. وحول اجتماعنا في ديو غنائي جوابي: ولا مرة فكرنا أنا وخوري بهذا الأمر، على الرغم من أنني أرحب بالفكرة، لكون مروان ملحناً وكاتباً جميلاً ولديه موهبة خاصة ومميزة، هذا عدا عن فنه الرائع وصوته الكبير.

• ألبوم «غنّي قليلاً» الأخير ضم ١٢ أغنية، وكنت صرحت سابقاً بأنّ هناك ١٢ أغنية أخرى... ما مصيرها؟

العمل على ألبوم «غنّي قليلاً» ليس وليد فترة قريبة، بل استغرق وقتاً طويلاً وتسجيل الأغاني في الأستديو استمر لسنوات. وعلى الأكيد هناك اثنتا عشرة أغنية تمّ تسجيلها وسيتم إصدارها في العام القادم. وهنا أحب أن أشير إلى نقطة تتعلق بألبومي «غني قليلاً»، فأنا سعيدة جداً لما عبّر عنه الجمهور وما أشاد به النقاد حوله لأن أعماله خاصة جداً، وهي لا تشبه أي أعمال عربية موجودة على الساحة العربية.

• أنت فنانة تعتبر نفسها إن صح التعبير «مُتعبة في التعامل الموسيقي» بمعنى أنك تدققين على أصغر التفاصيل.. اشرحي لنا كيف يتم إقناعك بالنهاية؟

«تجيب ضاحكة» أنا لست مُتعبة بالمعنى السلبي للموضوع. أحب هنا أن أوضح أمراً هو من طبيعتي الشخصية، فأنا إنسانة حساسة جداً، وأحرص دائماً على ألا أُزعج أو أُحزن أي شخص مني سواء بالقول أم بالفعل، وبالمقابل فإن حرصي ينعكس عليّ بشكل سلبي، وبالنتيجة أنا أكون الشخص الحزين أو المزعوج من المواقف أو حتى في متابعة بعض الأمور، هذا من جهة ومن جهة أخرى أنا إنسانة دقيقة جدا في عملي، وحريصة على الموسيقا وعلى الأعمال وكل الأغاني، بأن تكون مشابهة لي ومتكافئة مع طموحي الذي أرغب في أن يصل للناس، ومن ثم هذا الأمر ليس بالسهل، بل يتطلب مني الكثير من الجهد والمتابعة والتدقيق، كي أوصل أفكاري للأشخاص الذين أعمل معهم بالشكل الصحيح. وأيضاً أضيف نقطة بأنني في كثير من الأحيان أتمسّك بإصراري على بعض الأمور، وفي النهاية يجد كل من يتعامل معي بأنني كنت محقة، لهذا أجد نفسي إنسانة مُتعبة بالمعنى الإيجابي.

• كباحثة موسيقية كيف يمكننا استغلال الموسيقا في التربية وإعداد الأجيال وخاصة في هذا الوقت الصعب على المنطقة العربية؟

في الحقيقة إنّ المنطقة بعالمنا العربي، تمرّ كلّها بفترة صعبة سياسياً، ومنها من خاضت الحروب لسنوات كثيرة، وبقدر ما تكون هذه الحروب طاحنة للحجر، بقدر ما هي مدمرة للإنسان. ومن ثم الأجيال التي خُلقت في زمن هذه الحروب، على الأكيد عاشت ونمت في زمن يملؤه التوتر والأوجاع والمآسي من قهر الظلمة، وهذه الأجيال لديها الكثير من الأسئلة والاستفسارات التي لا يمكن أن تجد أجوبة لها. وفي رأيي إنّ المعركة طويلة والتحدي كبير كي نتمكن من تعويض هذه الأجيال عما فقدته خلال السنوات الماضية وحتى في الفترة الحالية التي نعيشها، وكلنا نتفق على أنّ الموسيقا من أرقى العلوم بل هي الأكثر تأثيراً بالإنسان، وعندما يكون الفن راقياً سيكون بشكل أو بآخر كالعلاج للروح والفكر والمشاعر. إذاً من خلال الموسيقا وغيرها من الفنون والآداب يمكننا الاهتمام بالإنسان ورعايته وتغييره إيجابياً، ولكن هذا يحتاج وقتاً وأعتقد بأن الطريق طويل، ولكنه ليس مستحيلاً.

> أتمنى أن أتعاون مرة أخرى مع الملحن مروان خوري... وحول اجتماعنا في ديو غنائي... ولا مرة فكرنا

• أين الطفل العربي من موسيقاك واهتمامك الغنائي؟

هذا سؤال جميل جداً وهو مهم، فمَن الضروري أن نعمل على مشروع موسيقي يتوجه للأطفال، فالفكرة رائعة وسأعمل على هذا المشروع.

• ما مقومات الصوت الذي يُلهم ويثير شغب عبير الموسيقي؟

هناك الكثير من الأصوات العالمية التي تؤثر فيّ وأتابعها. وللأمانة أنا لا يهمني بأن يكون للصوت مساحة كبيرة أو صغيرة، بل كل ما يهمني هو الإحساس، حتى ولو كانت مساحة الصوت صغيرة، بمعنى هناك الكثير من الأصوات غير القوية إلا أنها قادرة على أن تقدّم أغاني خاصة وبشكل فريد، معبرة عن شخصيتها ومن دون أن تقلّد أصواتاً أخرى- وكأنّ لهذا المغني مدرسته الخاصة بالأداء والغناء-فهذه الأصوات على التحديد تشدّني وتحرك فيّ مشاعر عالية، وللتوضيح أكثر أشير إلى أنّ هناك الكثير من المغنين الذين يمتلكون خامات صوتية قوية، وعند الأداء يغنون بشكل آلي، بمعنى أنّ صوتهم فيه الكثير من الاستعراض-استعراض من دون إحساس- هذه الأصوات أصفق لها كثيرا ولكنها لا تؤثر فيّ.

• لمن تحلمين بأن تقدمي لحنا؟.

لم أفكر أبدا بمن أحلم أن أقدم له لحناً، على حين ما أفكر به أو أحلم بمن سيغني صوتي من ألحانه. ولكن ومن بعد هذا السؤال سأفكر في الموضوع.

• أنت فنانة قادرة على الغناء بحوالي سبع وعشرين لغة وبألوان موسيقية مختلفة من كل العالم، هذا التفرّد والاختلاف كم يأخذ منك طاقة أو جهداً في المتابعة من أجل النجاح في التقديم؟

في الحقيقة اكتسبت هذا الأمر وتمكنّت من الغناء بلغات متعددة، بسبب التراكم الذي قدّمته السلسلة الوثائقية «موسيقا الشعوب» الذي عُرض على قناة «الميادين» التلفزيونية، وهذا الرصيد جاء من رحلة عمل دامت خمس سنوات، تطلّبت جهدا ومتابعة كبيرين، ولكن مضت السنوات الخمس وكل التعب بسلاسة كبيرة بسبب الشغف الكبير الذي جعلني في كل مرحلة أتقدم أكثر في هذا المجال. وبالعموم هذه الأنماط أو هذا التعدد لتقديم لغات مع الموسيقات المتنوعة، لا يمكن أن أقدمه بشكل يومي أو أسبوعي، بل أقدمه عبر حفلات خاصة بمناسبات ثقافية معينة، فأنا اللغة الأساسية التي أغني بها هي اللغة العربية، وبصراحة أنا أحلم بأن أقدم مشروعاً موسيقياً متكاملاً يحمل كل لغات العالم، وإن شاء الله في يوم من الأيام فسأتمكن من تنفيذه بشكل مسرحي أو من خلال إطلاق سيديه.

• حدثينا عن مشاريعك المستقبلية؟

قريبا سيصدر ألبوم يضم الأغاني المنفردة التي أطلقتها وهي: وينك، تلفنتلك، وددعت الليل، يا ترى، وغيرها من الأغنيات، إضافة إلى الأغنية الجديدة التي ستصدر في الأسابيع القادمة. وبالنسبة للحفلات والمهرجانات سأشارك في مهرجان جرش في الأردن، وفي مهرجان الموسيقا الكلاسيكية في الإمارات، وأيضاً سأشارك في حفل في كل من البحرين ومصر.

• أخيرا... بحسب مصادر خاصة.. في الصيف الحالي ستقفين على مسرح الأوبرا بدار الأسد ومسرح القلعة في دمشق... هل المصادر أصابت؟

أنا بانتظار العودة إلى سورية وهذا اللقاء أنا متشوقة له منذ سنوات طويلة، ولكنني حتى اللحظة لا أستطيع أن أؤكد على أي مسرح سأغني، ولكن من المقرر أن يكون في هذا الصيف حفل كبير في الشام، وهناك حفل آخر وعلى الأغلب -إن تمّ الاتفاق- سيكون في حلب. وفي الختام... على الأكيد أنا قادمة، وأنا متشوقة للقاء الجمهور السوري.

صاحبة «قواعد العشق الأربعون»

«أليف شافاك» وأحدث رواية لها «البنت التي لا تحب اسمها»

| هبة الله الغلاييني

نالت الروائية (أليف شافاك) شهرتها الواسعة بعد روايتها (قواعد العشق الأربعون) التي وضحت فيها العلاقة الروحية بين العالم الصوفي (جلال الدين الرومي) و(شمس الدين التبريزي).

ثم تتابعت رواياتها... (لقيطة إسطنبول)، (شرف)، (قصر الحلوى)، (حليب أسود) وغيرها.

منذ شهر تقريبا صدرت رواية (البنت التي لا تحب اسمها) وهي ليست بمستوى رواياتها السابقة، حيث تتبع أسلوبا أدبيا بسيطا يصلح لليافعين أكثر منه للبالغين.

(ساردونيا) هو اسم زهرة أي مثل اسم (اللوتس) و(النرجس) و(التوليب) و(البنفسج). وهو اسم بطلة الرواية التي لا تحب اسمها هذا، وتلوم دائماً والديها اللذين انتقيا لها هذا الاسم.

تبدأ الكاتبة روايتها بوصف بطلة الرواية (لم تكن قامتها طويلة ولا قصيرة، أما شعرها، فكان أصهب، ربما كانت نحيفة، إلا أنها لم تكن هزيلة، وجهها دائري، وعيناها عسليتان. كانت هذه الفتاة تهوى قراءة الكتب، وسماع الموسيقا، والرسم، واللعب بالكرة، والقفز على الحبل، إضافة إلى صنع كعكة الشوكولاتة. أما لعبتها المفضلة، التي كانت تلعبها وحدها، فهي تخيل أشكال مألوفة من الغيوم التي تزين السماء).

كان اسمها لا يعجبها، بل كانت تخجل منه. وكانت تردد على الدوام: ليت لي اسماً مختلفاً، مثل بهار، ابنة خالتها، أو مثل أسماء بنات البقال ذوات النمش في وجوههن: ليلى وسلمى وجنى... أو حتى مثل أسماء صديقاتها في المدرسة: أروى، أسماء، عائشة، بيضاء، خديجة، إسراء، مروى، زينب. ما أكثر الأسماء في هذا العالم. كلها أسماء سهلة، وكل اسم أجمل من الآخر... وعلى الرغم من ذلك، فإن أباها وأمها تركا كل هذه الأسماء، ولم يجدا إلا هذا الاسم لها. ليتهما وضعا اسما مركبا معه. لا... حتى هذا غفلا عنه. وليكن... لو أنهما وضعا لها كنية، فمعظم الأولاد في المدرسة لديهم كنى، مثل المحبوب، والمسلي، إلا هي ليس لها حتى كنية، لأن اسمها كان غريبا أصلاً، وكانت تلفظه يشبه الكنية المضحكة. وعلى الرغم من ذلك، فإن الأسماء غير المألوفة لم تكن صعبة لها، مثل اسمها، لأن اسمها كان تماما بهذا الشكل: زهرة الساردونيا.

كانت ساردونيا قد اشتكت عدة مرات إلى أبيها وأمها من موضوع اسمها، لكن مع الأسف، لم يأخذا الموضوع على محمل الجد. وما الغريب في هذا، فإمكانية الكلام مع الكبار بوضوح كإمكانية هطل الثلوج في شهر آب فردود أفعال الكبار على المواضيع التي لا يرغبون في سماعها تكون إما بالتجاهل، وإما بالابتسام وتغيير الموضوع.

فكرت ساردونيا كثيراً في موضوع استشارة الكبار للصغار بشأن تسميتهم! لماذا لا يتدخل الإنسان في موضوع اسمه الذي سيحمله طوال حياته؟ كان لا بد من تسمية الأطفال منذ ولادتهم. لكن، كان يجب أن يتحدث الأطفال مع والديهم ويختاروا أسماءهم بعد أن يكبروا ويتعلموا القراءة والكتابة. وإلى ذلك الوقت، كان من الممكن للوالدين أن يناديا أولادهما بكلمات بسيطة وليست كلمات فظة، مثل: أنت تعال، واجلس يا صغير. لم تكن هذه الكلمات محببة بالنسبة إلى ساردونيا. فمن الممكن أن يسموا بكلمات ألطف وأرق، بكلمات تناسب الشخص المسمى مثلا. لذا كانت ساردونيا تحلم بكوكب يختار فيه كل إنسان اسمه بحرية. فهل يوجد مكان كهذا، يا ترى؟ كانت تعلم بأنها لو حاولت أن تسأل أمها هذا السؤال، فستضحك أمها وتقول: (عقل أطفال، لا غير).

كم كانت ساردونيا معجبة بكروية الأرض، فمن السهل احتضان الأرض وهي كروية الشكل. وكل مكان فيها يبعد البعد نفسه عن الأماكن الأخرى. لذا أهداها والدها في عيد ميلادها أطلساً، صار من أحب ما تملكه. لا تتركه أبدا فترة وجودها في البيت، وتأخذه إلى المدرسة بين الحين والآخر، تقلب صفحاته كلما سنحت لها الفرصة بين الدروس، وفي الاستراحات. رسمت أعلام جميع الدول ولونتها، وحفظت أسماء عواصمها. إضافة إلى ذلك، كانت تستطيع أن تحصي معظم دول أميركا الجنوبية وإفريقيا وآسيا وهي مغمضة العينين. كما كانت ترغب في زيارة تلك البلاد الأجنبية عندما تكبر. ولحسن الحظ أنه لا داعي لتكون طائرا كي تستطيع أن تقوم برحلة حول العالم.

> الحدود بين الدول مرسومة كأنها حجارة صغيرة ملونة تضيء وتنطفئ

لم تكن ساردونيا راضية عن سلوك البالغين... وخاصة بالنسبة لحب القراءة فقد لاحظت أن البالغين يدركون جيداً أن قراءة الكتاب شيء مفيد، وعلى الرغم من ذلك فإنهم يقاطعون الأولاد في أثناء قراءتهم، لكنهم لا يقتربون من الطفل المنهك في الدراسة. إذا كنت تقرأ كتابا أنت اخترته، يبدؤون بطلب الأشياء منك بلا توقف: (ساردونيا أحضري لي كوبا من الماء، ساردونيا هيا أعدي المائدة، ساردونيا هيا اذهبي واسقي النباتات في الشرفة) لماذا لا يتدخلون في الولد الذي يدرس؟ ويزعجون الأولاد الذين يقرؤون الكتب؟ لم تكن ساردونيا تعطي أي معنى لهذا التصرف. ما أغرب تصرف البالغين!

ذات يوم تعثر الفتاة في المكتبة القريبة من منزلها على مجسم كرة أرضية مضيئة. كانت أكبر من حبة البرتقال وأصغر من حبة الشمام. عليها كل من البحار والأنهار والجبال والبحيرات، والجبال البركانية. كما كانت الحدود بين الدول مرسومة كأنها حجارة صغيرة ملونة تضيء وتنطفئ. وعندما تمسك بها من وسطها تماما، يعني في خط الاستواء، ينفتح شيء شبيه بباب يفتح على مصراعيه. لكن داخله لم يكن فارغا ولربما فيه قسم سري. والأمر الذي حير زهرة الساردونيا هو الشيء العجيب الذي شاهدته في مجسم الكرة الأرضية، فقد كانت تعرف أن قارات العالم سبع، غير أنها لم تكن سبعا في هذه الكرة، بل كانت ثماني قارات. لقد اكتشفت قارة جديدة في جزيرة في وسط المحيط الأطلسي، كما أن شكلها أيضاً كان غريبا. وإذا أمعنت النظر إليه يبدو ككتاب مفتوح. في تلك اللحظة، شعرت ساردونيا بأن الكرة الأرضية التي بين يديها مفعمة بالحياة تتنفس وتفكر.

ثم تقوم ساردونيا عن طريق هذه الكرة برحلة خيالية مع أصدقاء خياليين يعشقون القراءة مثلها. ويشقون طريقهم عبر غابة من الخيارات فيها أربعة طرق هي التراب والماء والنار والهواء. ومن خلال خياراتهم المتتالية بين هذه العناصر الأربعة تتسع مداركهم، وتغنى معارفهم. ويتعلمون أن الحكايات والقصص والأساطير وعالم الأحلام هي أكثر الأشياء متعة في الحياة، وأن هناك مكاناً للجميع بين طيات الكتب. كانت ترغب أن تخبر الجميع عن رحلتها المذهلة، لكن ظل هذا الأمر سرا، فلم تخبر أحدا بالقارة الثامنة، إلا شخصاً واحدا هو مذكرتها حيث كتبت:

(عزيزتي الشجرة العظيمة، كانت العودة إلى المدرسة بعد التجول في بلاد الأساطير والحكايات غريبة جدا. كل شيء صار يبدو مختلفا، لأنني تغيرت. يعني أنني تغيرت من دون أن أشعر بذلك، لم أعد أحزن من الأشياء التي كانت تحزنني فيما مضى.

أعرف أن هناك مكاناً آخر، بلاداً أجمل من هذه البلاد.

أنا الآن اجتهد في دروسي، وأمضي وقتاً أطول مع أصدقائي، وأقرأ كثيراً من الكتب. وكلما قرأت حكاية، أو بنيت حلما، أو ألفت قصة، أو كتبت شعراً، تخضر شجرة في القارة الثامنة، وتتفتح زهرة، وتجري المياه في الأنهار الجافة، ويغرد عصفور، حتى لو لم يصدق أحد هذا، فأنا أعتقد أن هذا الأمر ممكن.

زهرة الساردونيا (الفتاة التي تحب اسمها).